السنة الأولى فنون جذع مشترك

المقياس : سيكولوجيا الفن

الدكتور : عماري علال

المحاضرة الأولى : ماهية الابداع

الإبداع هو ظاهرة يتم من خلالها تكوين أشياء و قيم جديدة بطريقة ما، بحيث يكون العنصر الذي تم إنشاؤه غير ملموس (مثل فكرة أو نظرية علمية أو مقطوعة موسيقية أو نكتة) أو شيء مادي (مثل اختراع أو عمل أدبي مطبوع أو لوحة).

برز اهتمام العلماء بالإبداع في عدد من التخصصات ، في المقام الأول علم النفس ، ودراسات الأعمال ، والعلوم المعرفية ، ولكن أيضًا التعليم والتكنولوجيا والهندسة والفلسفة (ولا سيما فلسفة العلوم) واللاهوت وعلم الاجتماع واللغويات والاقتصاد ، والتي تغطي العلاقات بين الإبداع والذكاء العام ، ونوع الشخصية ، والعمليات العقلية والعصبية ، والصحة العقلية ، أو الذكاء الاصطناعي ؛ القدرة على تعزيز الإبداع من خلال التعليم والتدريب ؛ تعزيز الإبداع من أجل المنفعة الاقتصادية الوطنية ، وتطبيق الموارد الإبداعية لتحسين فعالية التدريس والتعلم.

اختلفت تفسيرات الابداع قديما وحديثا باختلاف الأمم والحضارات ، بدءا باليونان ثم الرومان مرورا بالعرب ما قبل الإسلام والعصور الوسطى وصولا للعصر الحديث .

لقد اشتهر الإغريق القدامى بملاحمهم الأسطورية التي تحكي بطولات آلهتهم المختلفة و أنصاف الآلهة و الأبطال الخرافيين ، من خلال ما يلقيه الشعراء على مسامع الناس من قصائد و ملاحم تأخذ بالألباب ، حيث اختلف الناس في تفسير ظاهرة الإبداع لدى هؤلاء الشعراء ، وأرجعوا الظاهرة إلى قوى غيبية تساعد الشعراء على نظم قصائدهم ، بحيث

تخص الآلهة بعضا من الناس بهذا الحظ العظيم ، وقد ذهب إلى ذلك أفلاطون في جمهوريته الفاضلة حين قال : إن الآلهة تخص بعضا من الشعراء بنوع من الاهتمام الذي يحظى به ثلة منهم و قد سماها بنظرية (الإلهام أو الوحي) ، وهو تفسير ساد الحضارة الغربية قرونا من الزمن حتى أواخر القرن التاسع عشر .

أما العرب فهم لم يختلفوا في تفسير ظاهرة الإبداع عن غيرهم ممن سبقوهم من الأمم ، حيث عرفوا بأنهم أمة الشعر ، ولم يعرفوا غيره من الفنون ، فكان سجلهم الوحيد الذي يحمل آمالهم وآلامهم وكلّ ما يتعلق بحياتهم اليومية في السراء والضراء ، وقد جاء تفسيرهم لظاهرة الإبداع تفسيرا لا يختلف عن الإغريق والرومان ، بحيث نسبوا الظاهرة للقوى الغيبية المتمثلة في الآلهة وعالم الجن ، الذي كان يعتبر مصدرا هاما لعملية الابداع لدى الشعراء آنذاك ، حيث يقول أحد الشعراء :

وإنّي وكلّ شاعر من البشر ******** شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقد كان بمكة واد يسمى بوادي عبقر ، حيث آمنت قريش بأنّ الجنّ يسكنون به ، وكلّ من يدخله يصاب بالمس فيصبح شاعرا ، وقد سادت هذه الفكرة حتى ظهور الإسلام .

وبالرغم من ذلك كله إلا أنّ هؤلاء جلّهم لم يقولوا بمرض الفنان أو المبدع ولم يشككوا في صحته العقلية والذهنية حتى أواخر القرن التاسع عشر.

بعد ظهور نظرية التحليل النفسي اختلفت المفاهيم وتعددت باختلاف علماء النفس واختلاف مشاربهم ومجالاتهم ومن أبرزهم ترلينغ و زاخس اللّذين فسرا عملية الإبداع وفقا لثلاثة عناصر وهي : العصاب والنرجسية والعبقرية .

العصاب : هو فئة من الاضطرابات النفسية الوظيفية التي تنطوي على الضيق المزمن ولكن لا الأوهام ولا الهلوسة. هذا المصطلح لم يعد يستخدم من قبل مجتمع الطب النفسي المهني في الولايات المتحدة.

النرجسية : وقد رأى كلّ من هما أنّ النرجسية سبب مباشر في ظهور العملية الإبداعية لدى بعض من الفنانين والمبدعين ، ولعلّ الواقع قد أثبت ذلك من خلال تتبع حياة أبرز المشاهير من القرن الماضي الّذين كانوا معجبين بأنفسهم وبذواتهم لحد بلوغ النرجسية ، حينما أفرطوا في حبّ ذواتهم وأنفسهم ، فكان أن أبدعوا في أعمالهم الفنية والعلمية وغيرها ، لذلك فكلّ من هو منطو على نفسه محبا لها فهو مبدع بالضرورة في نظر ترلينغ و زاخس .

العبقرية : العبقري هو الشخص الذي يُظهر قدرة فكرية استثنائية ، وإنتاجية إبداعية ، وعالمية في الأنواع أو الأصالة ، مرتبطة بتحقيق تقدم جديد في مجال المعرفة. على الرغم من وجود العلماء في العديد من المجالات عبر التاريخ ، فقد أظهر العديد من العباقرة إنجازات عالية في نوع واحد فقط من النشاط ، وهي خاصية طالما امتاز بها الكثير من المبدعين في مجالات شتى كالفن والأدب والموسيقى والرسم والعلوم التجريبية ، وهي سمة كافية لدى القليل منهم ومحفز مهم في تكوين الظاهرة الإبداعية .